

الخلوة - سميرة وهبي

صور الأشياء المقطعة في الأعمال الأولى للفنان آجن آتاجا التي تصف الحياة اليومية، تصوّر وهبي تفاصيل الفراش والتنجيد، الكراسي المتراكمة فوق بعضها، الأرضية اللامعة، الكتب وفضاء الغرفة وهالة الضوء تحلق فوقها وتعرفها من جديد. سصف ولتر بنجامين تفاصيل الأشياء اليومية هذه بالبحث عن الشيء الضائع والختبيء في الهوامش، "صور ترضع الهالة من الحسوس كالمياه في السفينة الغارقة"³.

يوحد استعمال الضوء والهالة في الأعمال التصويرية عدة أنظمة تمثيل تتواجد في مستويات مختلفة، بل متعارضة أحياناً. فهكذا يستطيع نظام الفنون الشكلية، وخاصة الحديثة، التأكيد على الأشياء كمن تتمتع بالأوتونوميا الذاتية، وتملك محسوسية ذاتية، والتوكيد على الضوء كعامل متناقض يملك وظيفة في تعريف الفضاء وخلق التصوير المثبت في عملية التصوير الفوتوغرافي. الى جانب هذا الجهاز، هناك نظم لاهوتية توحيدية التي تحول استعمال مفهوم الضوء الى نقاش عقلائي، ذهني غير تأملي. أما سميرة وهبي، فنتأمل وتبحث عن النحو الداخلي لتسلسل الأشياء المرئية في الصورة، هذا النحو هو في الأساس نتاج أنشطة أهلية-دينية في الخلوة والتي تبني الأشياء كأرضية وخلفية لنشاطات روحانية دينية عقائدية. ثمة علاقة مباشرة في بعض اللغات بين التنوير؟، الكتب التوراة

تواصل الفنانة سميرة وهبي من خلال معرضها الفردي "الخلوة" انشغالاتها في القراءات الجندرية للحيزين العام والبيوغرافي. حيث تشارك في هذا المعرض سلسلة من الأعمال التي تعرض للخلوة^٢ - مكان العبادة لدى الدروز، وهو مكان ديني للاختلاء الروحاني والنفسي مع الله. تصوّر سميرة وهبي في هذه السلسلة الخلوة في دالية الكرمل، مكان ولادتها، بالأسود والأبيض: بناية واسعة ومتواضعة، تخلو جدرانها من الصور والزينة، أرضيتها مغطاة بالفراش، أما من الخارج فهي لا تختلف عن أية بناية أخرى. رغم سرية تعاليم الدين الدرزي، تختار سميرة وهبي سبر غور هذا النظام الاجتماعي الديني وعرض داخل البناية على وجهين: مرة وهي تخلو من البشر، ومرة وفي داخلها مجموعة من الفتيات وهن يتعلمن.

يبرز التصوير الفوتوغرافي في سلسلة الأعمال هذه الضوء الطبيعي يدخل من شبابيك الخلوة وفتحات الأبواب، محولاً هذه الفتحات الى أجهزة إضاءة ضخمة. ولا نشاهد أثراً للاضاءة الاصطناعية، بينما يتم قطع تلك الألوان الكئيبة عبر ومضات ضوئية تبرز الغطاء الأبيض الذي يوشح رؤوس الفتيات ليظهر في الصور الفوتوغرافية على شكل هالة. تموضع وهبي المفهوم الديني والروحاني للهالة في حيز التصوير الحديث وفي علاقة مع مفهوم الهالة (aru) في تاريخ التصوير الغربي. على غرار

والضوء. فهكذا مثلا نجد في اللغة العبرية كلمة "أوريانوت" التي تعادلها لفظة clarity، والتي تستند الى الكلمة الآرامية أورييتا. تعني "التوراة، كما تستند الى الوصف "بار-أوريان" بالعبرية، أي ابن التوراة، يعرف الكتاب. وهكذا أيضا لفظة enlightenment. "تنوير"، التي تصف فترة التنوير كضوء يحو الظلام، والعدم والجهل. وعلى هذا الغرار، تصف العقيدة الدرزية التعليم الديني كعملية تسليط الضوء على الحقيقة وكتفضيل المعرفة والتنوير على الجهل والخوف. من خلال هذا الخطاب يتم بناء الحيز الموصوف في صور وهي الفوتوغرافية على خلفية سلسلة الأضداد: ضوء وظلام، فهم وخوف، تعليم وجهل، إيمان وكفر. في مركز سلسلة الصور هذه، تظهر مجموعة من الفتايات قرآن في كتاب ديني، وهن في مرحلة ما قبل دخولهن الى المجتمع الديني الدرزي. يشكل تعلمهن للدين مرحلة تتلمذ نحو البلوغ وقبولهن الى مجموعة "العقال": جماعة المؤمنين التي تؤدي الفرائض الدينية بصرامة وتتمايز بذلك عن بقية "الجهال".

تتشرط العقيدة الدرزية الدخول الى جماعة المؤمنين الالتزام بشرطين: على الانسان أن يكون بالغا، فوق سن الخامسة عشر، وعليه أن يكون متحررا من العبودية حيث أن اختيار الدين يجب أن يتم من خلال الارادة الصريحة والحرية التامة، وليس من خلال الضغوطات. ويحق للنساء الصلاة الوصول الى رتبة

كاهنة دين وممارسة نسخ الكتب المقدسة. كما تستطيع غالبيات الفتايات التعلم في الخلوة، أما بعد جيل الخامسة عشر، فيحق مواصلة تعلم الديانة فقط لمن تقرر الانتماء الى العالم الديني. وهذا يعني الالتزام بعادات التواضع والحشمة، واللبس وادب الحديث، وقبول عبء العديد من التنازلات الصعبة التي تشكل بداية لاسلوب حياة ينطوي على عذاب الجسد والروح.

توثق سميرة وهي لفتايات تعرف غالبيتهن شخصيا، بنات العائلة، صديقات وزميلات. تصورهن في القرية التي ولدت فيها كعملية تسلسل زمني للوجود النسائي. ليس تسلسلا زمنيا للهوامش والحكومين، بل تسلسلا زمنيا للشيء الفعلي وللمركزية. تبدو الفتايات في الصور الفوتوغرافية قرآن ويتبادلن حديثا حميميا. بعضهن يجلسن مجتمعات على الفراش، البعض الاخر يقفن أو يجلسن على انفراد منفصلات عن المجموعة. غطاء الرأس الأبيض هو تأكيد على تعابير الجسد المتحررة وعلى اللطافة، كما يحدد تخوم حيز القراءة الظاهر في الصور، ويحول مشهد اللقاء على لقاء مشهد متناغم يغمره ضوء الفتايات الشابات وهن على وشك اتخاذ قرارات حاسمة وهامة في حياتهن.

على خلاف الثنائية القائمة في صلب النظم اللاهوتية التوحيدية، يتم بناء فترة التلمذ الموثقة في الصور الفوتوغرافية

كمجال نسائي ليس على غرار ثنائية تقسيم الحيز الى حيز نسائي وآخر ذكوري، أو تراتبية دينية معتمدة. تخلق سميرة وهبي حيزاً محمياً تبدو فيه قابلية الوصول الى النص الديني المعتمد والمكرس والسري الى قابلية حميمية وليست نوعاً من الوساطة، بل هي في الأساس شكل من الأوتونوميا والتعزيز. فالفتايات في الصور لسن تحت وصاية البالغين من الرجال أو النساء؛ فهن منتشرات في الفضاء، ومكانتهم لا تشير الى قوالب الحيز الذي قد يكرر نفسه بسبب تأشيرهن الفعلي في الحيز. وهن يسمكن الكتاب مفتوحاً قريباً من أجسادهن، وضعية الجسد مريحة وتتيح القراءة المتواصلة، أي أن عملية القراءة هنا لا تمثل استجابة لنظم سلطة طرق فهم النص والرقابة عليه.

صحيح ان هذا الوصف هو على خلاف البنية الثنائية الجندرية في المجتمعات الأهلية الدينية، لكنه يستجيب الى تعريفات مختلفة للنص الانتقالي. فبناء على ترنز، تتشكل سيرورة النصوص الانتقالية من ثلاث مراحل: الانفصال عن سبيل النشاطات اليومية؛ الانتقال عبر وضعية عتبة الشعور الى العالم النصي - عالم ينأى بنفسه عن مفاهيم الفضاء والزمان والذي غطى ضمنه المباني اليومية للحياة بالتطور والتحدي على حد سواء؛ والدخول مجدداً الى العالم اليومي^٥. أحد المفاهيم الأساسية المرتبطة بالمرحلة لاثانية، مرحلة عتبة

الشعور، أو التجمعات الأهلية - هو ذلك الشعور بالأخوة القائمة بين من يجتازون النص الانتقالي. مقابل الجهاز الثنائي المحافظ القائم قبل مرحلة التلمذ وبعدها، تخلق وهبي التجربة البيوغرافية كنص انتقالي. المكوث في نوع من الجنة المفقودة، حيث فرحة الحياة، الأخوة، مشاعر التحرر والتعزيز، تنبع من حق المشاركة في تجربة القراءة الدينية للنص السري - جميعها تشكل فقط مرحلة نحو الخروج من حيز الخلوة الحمي الى حيز الوجود الفعلي في الخارج.

- ١ را: نص معرض "لا يوجد مكان جدا بعيد". (أمنية المعرض: طال بن تسفي) في كتالوج "سمراء - ستة عشر معرضاً فردياً". جاليري مؤسسة هاينرخ بل، دار النشر بابل، ص: ٥٧-٥٧.
- ٢ الخلوة: مكان للاختلاء وللعبادة والتوحد لدى الطائفة الدرزية.
- ٣ فولتر بنجامين. تاريخ التصوير الفوتوغرافي الصغير، ص: ٦٣ (بالعبرية).
- ٤ تمار الأور، في عيد الفصح القادم، ص: ٧٨٢ (بالعبرية).
- ٥ فيكتور ترنز، السيرورة النصية المبني وضدي المبني، ٩٦٩١، ص: ٨٨ (بالعبرية).

سميرة وهبي

٣٧٩١ ولدت في دالية الكرمل. تسكن

وتعمل هناك

٩٩٩١ خريجة مدرسة الفنون كاميرا

أوبسكورا، تل أبيب

معارض مختارة:

٩٩٩١ "فضاء المساحات"، جاليري عامي

شطابينتس - الفنون المعاصرة.

تل أبيب

١٠٠٢ "لا يوجد مكان جدا بعيد".

جاليري مرسسة هاينرخ بل.

تل أبيب (فردى)

٢٠٠٢ "ليلة زفاف"، بيت الكرمة، حيفا

"طبيعة صامتة"، بيت الكرمة.

حيفا

"معرض سمينار توثيقى للتعايش

وللهوية وللسلام"، مدرسة

التصوير، مصرارة، القدس

٤٠٠٢ "l'Eau Les Reves".

جاليري Witte Zaal, Ghent.

بلجيكا (معرض جماعى)